المحاضرة التاسعة: المشروع التعليمي لجمعية العلماء المسلمين:

يعد التعليم من أهداف جمعية العلماء حيث أولته عناية خاصة من خلال نشاط روادها وفتحها لمدارس تعليمية حرّة، إضافة إلى التدريس في المساجد مختلف العلوم الدينية حسب المستويات وتدعيم الفكر الإصلاحي.

1-**التعليم المدرسي(المدارس الحرة)**: أسست الجمعية مدارس حرة في المدن، تشرف عليها جمعيات محلية تابعة لها، وبدعم من الشعب تأسيسا وتمويلا، وكان الشيخ عبد الحميد ابن باديس قد اهتم بالتعليم الحر بداية م نشاطه التعليمي **بالمسجد الأخضر بقسنطينة**، الذي تطور إلى مدرسة التربية والتعليم التي مثلت نموذجا للمدرسة الحديثة عند جمعية العلماء المسلمين، ومن أبرز المدارس نذكر: **الجمعية الإصلاحية بوهران:** التي أنشأها سنة 1934 الأستاذ **محمد السعيد الزاهري** الكاتب العام لجمعية العلماء الجزائرية بعد استقراره بوهران سنة 1928، وساهم في تقدم الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري وتدعيم نشاط المدارس الحرة والتفتح على المبادئ الإصلاحية المشرقية ومساهمته في الكتابة الصحفية المشرقية، إضافة إلى النهوض بتعليم العربية بين الجزائريين[1].**ومدرسة دار الحديث بتلمسان :** التي تأسست في 27 سبتمبر 1937 من طرف جمعية العلماء الجزائريين، تحت إشراف **البشير الإبراهيمي** الذي كان يدرس بها التفسير؛ إضافة إلى معلمين آخرين، وكان برنامجها مرتكزا على اللغة العربية، ووضعت برنامج خاصا بالأحرار إلى جانب برنامج خاص بالإناث، أما المواد التي تدرس فيها هي العلوم الشرعية والعقلية والعربية والكتابة ودروس حول القرءان الكريم، وتنظيم محاضرات دينية في النوادي الثقافية، وتوفرت على مكتبة تتضمن كتب متنوعة، غير أنّ المدرسة مع حلول سنة 1938 تم غلقها من طرف السلطات الإستعمارية بقرار حكومي في 31 ديسمبر 1937، لكن أعيد فتحها بعد الإحتجاج وبمساعدة من النواب،

ومدرسة التربية و التعليم ببني صاف التي تأسست في 1938 واستقبلت المعلمين لمدة سنة وباندلاع الحرب العالمية الثانية توقفت مؤقتا [2].

---

[1].أحمد بالعجال،المنهج الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري الجزائري 1900-1956، مجلة البحوث والدراسات، العدد20، جامعة الوادي، 2015، ص 238.

[2].تونسي عبد الرحمان،الحراك العلمي بين التعليم الفرنسي و التعليم العربي الحر 1919-1939، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر عبرالعصور، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر عبر العصور، الملتقى الوطني، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة،دار المعاصرة الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر،2018، ص 477.

كما شمل التعليم العربي الحر نشاط المساجد والزوايا والمعاهد والتي مثلت التعليم الثانوي والعالي، بإشراف شيوخ وعلماء وأئمة ومعلمين يتمّ اختيارهم من خريجي الجامعات الإسلامية في الوطن العربي مثل جامع الزيتونة بتونس أو القرويين بفاس أو الأزهر بمصر، إضافة إلى التكوين التأهيلي للمعلمين من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، واستطاعت هذه المدارس القرءانية رغم بساطتها الحفاظ على اللغة العربية، وتكوين الأطفال وتوجيههم بما يعزز الإنتماء الوطني والإسلامي، وبعث الثقافة الوطنية والإعتراف بالشخصية العربية الإسلامية، مع التشجيع على الأعمال الإجتماعية والدينية والثقافية، لتجسيد التضامن الإجتماعي والتكاثف للحفاظ على المقومات الثقافية للأمة[3]

وقد واجهت المدارس الحرة صعوبات نتيجة التعسف الإستعماري وتشديد الرقابة على نشاطها وفق مرسوم 13 جانفي 1938 القاضي بتشديد المراقبة على الجمعيات والنوادي، مما أدّى إلى اضطراب التعليم الحرّ لفترة استمرت حتى الحرب العالمية الثانية، إلا أنهّ غالبا ما تفتح هذه المدارس والكتاتيب دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية، وبناءا على إحصائيات سنة 1947 فقد كانت الجمعية تشرف على 90 مدرسة تكون عشرين ألف تلميذ، ويشرف معهد ابن باديس على 700 تلميذ يتكونون للالتحاق بجامع الزيتونة، وخلال سنة 1945 أشرفت الجمعية على 124 مدرسة يؤطرها 274 معلم تدرس اللغة العربية والعلوم الدينية[4].

2-التعليم المسجدي: يعتبر التعليم المسجدي من الطرق التقليدية التي ترجع إلى فترات سابقة، يتشابه نظامه مع المعاهد الأزهرية بمصر والزيتونة والقرويين بفاس، فكان للشيخ ابن باديس فضل في إعادة الحركة التعليمية بالجامع الأخضر، واستمر نشاط المسجد حتى بعد وفاة الشيخ سنة 1943 بعدها، وكان أشهر علماء الجمعية قد بدؤوا نشاطهم العلمي بالتدريس وإلقاء الدروس في المساجد، وإلى جانب المساجد نجد **الكُتاب التي خصصت لتعليم** الصبيان القراءة والكتاب وأولويات المعرفة العمومية والمدرّس يلقب بالمكتب أو المعلم، والذي يدرس في الكتاب يسمى" المحصل" وطالب العلم والتلميذ، وتواجدت أغلب الكتاتيب إلى جانب المساجد وشكلت منطلقا وأساسا للتعليم الابتدائي ويسمّى في العاصمة "المسيد" أو الجامع، وكان التعليم موجه للعلوم الدينية واللغة العربية ، وحافظت

[3].علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر بحث في التاريخ الديني والإجتماعي من 1925 إلى 1940، تر: محمد يحياتن، الجزائر، 2007، ص 340.

[4].أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10،دار البصائر للنشر والتوزيع،طبعة خاصة، الجزائر، 2007، ص 26.

الكتاتيب في القرى والأرياف وحتى المدن على دورها التعليمي للأطفال أمام محاولات الإستعمار للحد من نشاطها،وظلت تؤدي دورا إيجابيا في الحفاظ على المقومات الوطنية والدينية، وكانت منتشرة في الأرياف وفي أحياء المدن، وعادة ما تحمل اسم الحي الواقعة فيه، وحسب التقديرات فإنّ عدد الكتاتيب خلال الفترة الإستعمارية قارب عشرة آلاف كتاب[5].

وبعد حصول المتعلم على تكوين أولي ينتقل إلى التعليم المسجدي والذي يختلف من منطقة لأخرى وخاصة مساجد المدن الكبرى مثل قسنطينة ووهران والعاصمة وتلمسان، لدراسة تفسير القرءان الكريم، وعلم الحديث والفقه، والعقائد الدينية والأدب والأخلاق، والفنون كالمنطق والحساب.

3-التعليم العالي والبعثات الطلابية:بالنسبة للتعليم العالي الحر فقد اقتصر على نشاط معهد عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة الذي أنشأ سنة 1947 واستقطب عديد الطلاب وتولى الإشراف عليه الشيخ العربي التبسي حيث كانت تقام حلقات الدروس لطلاب المعهد، وأصبح المعهد يشكل فرعا من فروع الزيتونة من حيث التنظيم والإشراف على الإمتحانات، كما كان لطلبة معهد ابن باديس والمعهد الكتاني الحق في الإلتحاق بجامع الزيتونة لاستكمال مسارهم الدراسي، وتقوم الجمعية بإرسالهم ضمن بعثات طلابية، ويشكل الطلبة الجزائريون الزيتونيون تنظيما خاصا تابع للجمعية ويتلقى توجيهات وزيارات من أعضاء الجمعية، وبعد تخرّجهم يجدون مكانهم ضمن مدارس الجمعية، وإضافة إلى الطلبة الزيتونيون فهناك بعثات طلابية للقرويين بفاس، وبعثات أخرى إلى معاهد الشرق العربي والإسلامي مثل طلبة الأزهر بمصر، إضافة إلى أعدد متفاوتة بين السعودية وباكستان والعراق وسورية والكويت، وحسب التقديرات فقد وصل عدد الطلبة الذين بعثتهم الجمعية سنة 1953 إلى 300طالب[6].

4-إهتمام الجمعية بتعليم المغتربين الجزائريين:

اعتنت الجمعية بالمغتربين عن طريق الأنشطة الثقافية والإصلاحية المبرمجة، بداية من سنة 1936 على يد **الفضيل الورتلاني** فأنشأت مدارس ونوادي لتعليم أبناء العمال الجزائريين والعمال والعاطلين القراءة والكتابة باللغتين وتعلم القرءان،إضافة إلى بعض العلوم مثل الأدب التاريخ الجغرافيا، وكانت هذه

---

[5]. تركي رابح عمامرة ، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956، مطبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1981،ص 230- 236.

[6].سعد الله ، المرجع السابق، ص 61.

النوادي مفتوحة لكل المسلمين وخاصة الشمال الإفريقي، وبلغ عدد المدراس30 مدرسة وناديا لنشر التعليم والتوعية وتدريس القرءان، غير أنّ السلطات الاستعمارية قامت بغلق النوادي وبعض المدراس سنة 1947 مما أدى إلى تراجع نشاط الجمعية حتى بداية الخمسينيات أين قام البشير الإبراهيمي في مسار رحلته إلى المشرق سنة 1952 بزيارة باريس والتقى ببعض أفراد الجالية الجزائرية الذين كانوا على استعداد من أجل دعم نشاط الجمعية وتعلم اللغة العربية والإسلام [7].

هذا النشاط التعليمي الذي قام به العلماء المسلمون ساهم في محاربة الجهل وتدعيم التعليم الحر وتكوين عدد كبير من الطلاب الذين ساهموا في مواجهة السياسة الإستعمارية ومخططاتها الثقافية القائمة على التغريب والإدماج والتجنيس، وساهموا في تأطير نخبة كان لها دور فيما الثورة التحريرية الكبرى والمحافظة على الشخصية الجزائرية ومكوناتها.

[7]. تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤسائها الثلاثة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004، ص 38.؛سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10،ص 26.